

تاريخ القبول: 2026/05/19

تاريخ الإرسال: 2024/03/01

تاريخ النشر: 2026/05/23

تجليات التراث الأمازيغي اللامادي في أعمال مولود معمري

Manifestations of intangible Heritage in Works of
Mouloud Mammeriعتيقة مصطفى¹جامعة ابن خلدون، تيارت، (الجزائر)، bahdja.samira@yahoo.com¹

الملخص:

نتناول من خلال هذا العمل كاتب جزائري لساني انتروبولوجي ويتعلق الأمر بمولود معمري الذي حاول من خلال منشوراته تقديم مختلف المحطات التاريخية في الجزائر ويعتبر معمري من أهم من كتب باللغة الفرنسية تدور اغلب أحداث رواياته في القرى والأرياف بالجزائر.

خلال الفترة (1965-1972) أشرف على تدريس اللغة الأمازيغية بالجامعة في إطار خلية الانتولوجيا، كما أسس سنة 1982 مركز الدراسات والبحوث الأمازيغية في باريس فضلا عن تنظيمه عدة ملتقيات باللغة الأمازيغية.

والأكيد أنّ مساهمته في ترقية الأمازيغية محفورة في التاريخ ويتم الإشادة بها في الوقت الراهن.

الكلمات المفتاحية: التراث؛ الأمازيغية؛ مولود معمري؛ الثقافة؛ اللامادي.

Abstract:

Known for his outstanding work as an Algerian writer, linguist and anthropologist, Mouloud Mammeri's four published novels are said to represent four distinctive time periods in Algerian history Mouloud Maameri who wrote in the french

language ;most of the events of his novels take place in the villages and country side in Algeria.

From 1965 to 1972 he taught Berber at the university in the department of ethnology and he founded in 1982 the centre of Amazigh Studies and Research and organized several seminars on the Amazigh language.

His contribution to the promotion of Kabyle is etched in history and remembered today

Keywords: Heritage; Amazigh; Mouloud Mammri; the Culture; Immaterialist.

المؤلف المرسل: عتيقة مصطفى، الإيميل: BAHDJA.SAMIRA@YAHOO.COM

1. مقدمة:

تعيش الجزائر اليوم سجّالا سياسيا وثقافيا كبيرا حول (المسألة الأمازيغية) هذه الأخيرة تكونت ضمن سياقات متنوعة وهي قضية تاريخية وAntropologique وحضارية وإن كانت المسألة الأمازيغية واستنادا إلى عديد الدراسات من أهم الآليات الاستعمارية الفرنسية في محاولة لتقسيم مجتمعات المغرب العربي، لكننا لا نغفل أهمية إعادة النظر في الإطار العام لهذه المسألة وربطها خاصة بالسياق الثقافي الذي برزت من خلاله نخبة من المثقفين، كانت مهمتهم إحياء التراث الأمازيغي وخاصة الإشكال اللغوي الذي ظل نخبوا لا يتجاوز بعض الأكاديميين والمثقفين الذين انتظموا في إطار ما سمّوه (الأكاديمية الأمازيغية) التي تأسست 1966 واتخذت من باريس مقرا لها.

يعد مولود معمري أحد أبرز الباحثين الجزائريين في تراث الأمازيغ ونقله من التراث الشفوي إلى تراث مدوّن، فضلا عن الأعمال الأدبية التي جمعت بين فن الرواية والقصة والشعر، اشتغل مولود معمري (1917-1989) بمجال الثقافة واللغة الأمازيغيتين، وكان قد أصدر سنة 1985 أول مجلة في هذا المجال تسمّى "أوال"

(الكلمة)، وأنجز أول عمل في قواعد اللغة الأمازيغية ونشر دراسات أنثربولوجية، كما دون نصوصا من التراث الشفهي الأمازيغي.

والأكيد أنّ مولود معمري أدى دورا بارزا في الحفاظ على التراث اللامادي من خلال أعماله البحثية مثل "أهلليل قورارة" (1984) والقصائد القبائلية القديمة، والزبوة المنسية (1952) والأفيون والعصا (1965)، حيث اعتمدت "اليونسكو" على أعمال معمري حول فن "أهلليل" لاعتماده ضمن قائمة التراث الإنساني العالمي إلى جانب "البرعة" لسلطة عمان و"الحكاية الفلسطينية"....

إنّ الغرض من هذه الدراسة هو محاولة لوضع جهود مولود معمري في إحياء التراث الأمازيغي ضمن سياقها الطبيعي وخاصة في ظل بعض الأفكار التي تربط الحراك الأمازيغي في الجزائر بهذه الشخصية بعد منع السلطات الجزائرية تنظيم محاضرة حول الشعر الأمازيغي، كان من المقرر أن يلقيها مولود معمري بجامعة تيزي وزو في العاشر من مارس 1980.

ننتقل من خلال هذه الدراسة من إشكالية أساسية ترتبط بماهية العلاقة المفترضة بين صون التراث الأمازيغي اللامادي وأعمال مولود معمري كأديب ولساني واثوغرافي، وسنحاول من خلال هذه الدراسة وضع أجوبة ممكنة بعد عرض مجموعة من الأعمال الخاصة بمولود معمري.

2. تحديد المفاهيم والمصطلحات:

قد يدفعنا التساؤل ونحن نقارب نظريا مفهومي التراث والهوية الأمازيغية إلى ضبط الجانب المفاهيمي من أجل تقديم مجال يسهل عرض التماذج والأمثلة لذلك سنحاول تقديم مجموع المؤشرات التي تحدد الموضوع بالاعتماد على المرجعيات الأكاديمية، أما عن مفهوم التراث فيعرّف معجم اللغة العربية المعاصر هذا المصطلح بأنه: (كل ما خلفه السلف من آثار علمية وفنية وأدبية سواء مادية كالكتب والآثار

وغيرها أم معنوية كالآراء والأنماط والعادات الحضارية المتنقلة جيلا بعد جيل مما يعتبر نفيسا بالنسبة لتقاليد العصر الحاضر وروحه)، فحين يصعب تحديد مفهوم التراث اصطلاحا فبعضهم يقول أنه كل ما وصل إلينا من الماضي القريب أو البعيد¹، واعتبره البعض أنه المخزون الثقافي المتوارث عبر الأجيال وبالتالي يؤثر في تصورات الناس وسلوكهم².

تتبع قيمة التراث في كونه يوثق نشاط الإنسان وإنجازاته عبر التاريخ بواسطة وسائل مادية أو غير مادية وهو نوعان: التراث المادي الذي يشمل مجموع المخلفات المادية الثابتة (المدن والمعالم التاريخية) أو التي يمكن نقلها من مكان لآخر (الصور اللوحات، المخطوطات، الوثائق والكتب المطبوعة)، فحين تحدّد اتفاقية الحفاظ على التراث غير الملموس (باريس 2003 يونسكو) تعريفا جامعاً للتراث الثقافي غير المادي بكونه: (مجموع الممارسات والتصورات وأشكال التعبير، والمعارف والمهارات والتي تعتبرها الجماعات وأحيانا الأفراد جزءا من تراثهم الثقافي)³.

أما تحديد مفهوم التراث الأمازيغي فيقودنا إلى التعمق تاريخيا، فكلمة الأمازيغ مرتبطة بكلمة مازيغ كما أوردها ابن حزم الأندلسي في كتابه (جمهرة أنساب العرب) وابن خلدون في مؤلفه (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر)، حيث قال أن مازيغ هو أب الأمازيغ وينحدر من ولد كنعان. ومع حلول الاستعمار الفرنسي بالجزائر ظهر مدلول جديد للكلمة وتعني الرجال الأحرار والذي ظهر لأول مرة لدى الكاتب العسكري الفرنسي (إميل كاريت) في كتابه (الاستكشاف العلمي للجزائر)، ومن الناحية الجغرافية فالأمازيغ هم السكان الأصليون لمنطقة شمال إفريقيا ونجد العديد من المآثر الأمازيغية التي تم إدراجها في مواقع التراث العالمي ومن أبرزها منطقة فزان الأمازيغية التي تقع في الجنوب الغربي بليبيا ومدينة توغا الواقعة في الشمال

الغربي للجمهورية التونسية وهي مدينة بربرية تضم ضريح احد الملوك الامازيغ ومدينة غرداية الجزائرية.

ويعتبر التراث الامازيغي مكوّنا أساسيا، حيث أنه إضافة إلى مختلف أشكال وتجليات الثقافة في الجزائر، فثمة جملة من الانتاجات المادية وغير المادية مرتبطة بمجالات عدّة من شأنها أن تعزّز العمق الامازيغي بعيدا عن الانتقاءات الرّمزية أو التوظيف السياسي.

لقد ظلّت الثقافة الامازيغية لقرون طويلة ثقافة شفوية في المقام الأول، حيث كان انتشار أبجدية التيفيناغ⁴، ضعيفا جدّا وينحصر أساسا في نقوش على المعالم الأثرية القديمة حيث تشكل الحكايات والأمثال والحكم الشعبيّة أبلغ تمثيل على المستوى اللّغوي، وما زال الشّغل الشّاغل للباحثين في مجال اللّغة الامازيغية هو كتابة هذا الإرث الشّفهي، ويعد هذا الأمر تنمّة لمشاريع قديمة أنجزها في القرنين 19 و20 بالجزائر العديد من علماء اللّسانيات كالفرنسيين اندريه وباسي وكوهين.

وهناك إجماع بين المختصين بالأدب الامازيغي على تحديد تاريخ انتقال الامازيغية إلى الكتابة خلال أربعينات القرن العشرين وتحديدًا سنة 1946 وهو تاريخ نشر بلعيد ايت علي (1909-1950) دفاثره في سجل التوثيق البربري وهي عبارة عن مجموعة من النصوص تحتوي على الحكايات وقصص وأشعار، وسنة 1981 نشر رشيد عليش روايته (العطية) لينشر سعيد سعدي سنة 1983 روايته (الفتى الكشاف).

كما تشكل الحكاية الشعبيّة عنصرا أساسيا ساهم في الحفاظ على الهوية الامازيغية من الاندثار، وقد نجح كثير من الباحثين في الانثروبولوجيا في جمع متون هذه الحكايات وتصنيفها، ويظل ما قامت به الكاتبة (طاووس عمروش) خزانة حقيقية

للتقافة السردية الأمازيغية، وباستثناء (ولي الجبل) الذي يعد محاكاة ساخرة لظاهرة المرابطين في القبائل فقد ركزت الرواية المكتوبة بالأمازيغية على الهوية .

3. مولود معمري النشأة والتكوين:

ولد مولود معمري يوم 28 ديسمبر 1917 في قرية "ثاوريث ميمون" بمدينة "آيت بني" بولاية تيزي وزو، ينحدر من أسرة ثرية حيث كان والده سالم أمين القرية في إطار ما يسمّى بتجمعات أي الجماعة⁵ بدأ تعليمه الأول بمسقط رأسه وفي سن الثانية عشر انتقل مولود معمري للرباط للدراسة حيث كانت علاقته بالمغرب وطيدة حين التحق بعمّه الفقيه محمّد معمري، والذي كان من أعمدة المخزن المغربي على عهد السلطان محمّد بن يوسف، وتقلد عدّة مناصب في القصر حيث دخل محمّد المعمري المغرب سنة 1907 أين عينته فرنسا ترجمانا بالإدارة المكلفة بحفظ الأوراق بين السفارة الفرنسية والصدّارة العظمى. وفي سنة 1915 كلّف الفقيه بتدريس وتعليم أبناء السلطان مولاي يوسف وبعد وفاة هذا الأخير وتولّى محمد بن يوسف العرش استقدم أستاذه وعيّنه رئيسا لديوانه وقد عينه سنة 1950 وزيرا لشؤون القصر والتشريفات والأوسمة.

والجدير بالذكر أنّ مولود معمري قضى قسطا هاما من طفولته وتعليمه الابتدائي والإعدادي تحت يد عمّه الفقيه محمّد معمري في ظل السلطان المغربي فخلال عقد الخمسينات التي عيّن فيها الفقيه محمّد المعمري وزيرا للتشريفات والقصور الملكية بالرباط انفجر مولود معمري المفكّر والأديب إبداعا وفكرا.

سنة 1932 عاد معمري إلى الجزائر والتحق بثانوية بوجو (ثانوية الأمير عبد القادر حاليا) بباب الواد بالعاصمة، ثم انتقل إلى ثانوية لويس الأكبر ليلتحق سنة 1940 بكلية الآداب بجامعة الجزائر وهي الفترة التي نشر فيها سلسلة من المقالات بمجلة "أكّال" المغربية حول المجتمعات الأمازيغية، وفي سنة 1942 أعيد

تجنيد بعد عملية الإنزال الأمريكي، ثم ترشح غداة نهاية الحرب إلى مسابقة توظيف أساتذة الآداب، وبسبب ملاحظات الاستعمار الفرنسي عاد مجدداً إلى الرباط سنة 1957 أين أثرى مداركه في علم اللسانيات الأمازيغية أين قام بمحاولات لتأسيس قاموس أمازيغي موحد بين دول المغرب الكبير.

لقد عمل مولود معمري جاهدا لإحياء التراث الأمازيغي، مما جعل مجموعة من السياسيين على رأسهم علي بناي ومحمد ابيدير ايت عمران يحاولون الاتصال به سنة 1948 بغية تطوير ما يسمونه باللغة البربرية لكنه رفض بحكم المسألة ذات طابع سياسي.

وعن الوظائف والمسؤوليات التي تولّاها فقد بدأ معمري مساره المهني مدرسا بمدينة المدية ليصبح سنة 1963 أول رئيس لاتحاد الكتّاب الجزائريين، وأشرف خلال الفترة (1965-1972) على تدريس اللغة الأمازيغية بالجامعة، وخلال الفترة (1969-1980) تولّى رئاسة المركز الوطني للأبحاث الأنتروبولوجية ودراسات ما قبل التاريخ، وبتاريخ 10 مارس 1980 منعت السلطات إلقاء محاضرة بجامعة تيزي وزو بعنوان "الأدب الشعبي القبائلي" مما تسبب في احتجاجات عارمة أصبحت تسمى بـ"الربيع الأمازيغي". وأسس سنة 1982 بباريس مركز الدراسات والأبحاث الأمازيغية. توفي معمري في حادث سير بتاريخ 26 فيفري 1989 في عين الدفلى خلال عودته من ملتقى عقد بمدينة وجدة المغربية.

4. دلالة التراث الأمازيغي في أعمال مولود معمري:

1.4. أهليل قورارة:

يعتبر تراث (أهليل) من أعرق المدونات والطبوع الإيقاعية التي يزر بها إقليم قورارة بولاية أدرار، ولقد كان هذا التراث ولا يزال ملهما للعديد من الدارسين والمهتمين بهذا الطبع الثقافي الذي سجلته اليونسكو سنة 2005 ضمن قائمة التراث

الإنساني اللامادي، وهو تراث شعبي وثقافي يمزج بين الشعر والرقص وقد خرج هذا الفن من منطقة قورارة بأدرار ولم يكن شائعا قبل كتاب "أهليل قورارة" الذي أصدره معمري. وعن سبب تسمية أهليل قورارة فاختلفت الروايات في معناها إذ لا يوجد سند مرجعي واضح تبني عليه دراسة المفهوم، مما أطلق العنان للاجتهادات الفردية التي ركز عليها الباحثون في هذا المجال⁶، ولكنها لم تخرج عن كونها مشتقة من أهل الليل إذ يؤدي هذا الفن ليلا وتغلب عبارة "لا إله إلا الله" على ما يقوله المؤدّون من رجال ونساء.

وإن ذهب البعض إلى تفسير أهليل أنها مصطلح كان يطلقه سكان بعض القرى بمنطقة القبائل الكبرى على الشباب الذين يتسامرون في ليالي رمضان وبعد الانتهاء يجوبون الشوارع مرددين أغاني وقصائد لإيقاظ الناس للسحور مع مرافقتها بالتصفيق وحركات للجسد والعزف على آلات معينة مثل الطبلّة والزمزاد وتمجا، ولعل الهدف من هذا الفن هو تمكين المجتمع من التخفيف من حمل الحياة وتحدي البيئة الصحراوية.

ومن الناحية الانثروبولوجية والعرفية نجد أنّ معظم الباحثين يركزون على أمازيغية الاهليل، حيث أنّ السكان والقبائل الزناتية شكلوا تجمعا بشريا استوطن الواحات شمال إقليم توات كما أشار إليه الانثربولوجي رشيد بليل⁷.

ويمكن الاستفادة من الدراسة التي قام بها مولود معمري والذي استنتج بعد دراسة وتحليل العادات والأعراف أنّ مفهوم اهليل يعني نوعا من الشعر الديني والذي يعد شكلا من أشكال التّوحيد ومدح المولى عز وجل ، كما قام معمري رفقة فريق متعدّد الاختصاصات سنة 1971 ببحث حول قورارة ثم بعد سنتين وبحكم إعجاب معمري بالأدب الشّفهي المتمثل في الاهليل، شرع في جمع أشعار اهليل خلال

الفترة (1971-1978) منتقلا بين قصور القورارة من كالي شمالا وأوقروت جنوبا الى شروين غربا خاصة تميمون لينشر اهلل قورارة سنة 1984⁸.

بعد عمل ميداني استمر لمدة ثلاث سنوات وبمساعدة أعيان من المنطقة منهم دليله ورفيقه السيد (مولاي سليمان تيمي) استنتج معمري أنّ ثلث تراث اهلل اندثر حيث قام بجمع ما بقي متداولاً عن طريق المشافهة في كتاب صدر له سنة 2003 بعنوان (اهلل قورارة).

أشاد مولود معمري بهذا الشكل التعبيري قائلا: (إنّ الاهلل نوع وطني للقورارة وهو نوع مسموع للغاية لكنه يتميز بميزات الشعر القوي)، وقد قسم معمري الوقت الذي تقام فيه أهاليل في ثلاثة مراحل: الأولى تسمى "المسرب" وتبدأ مع الغروب وتندوم إلى غاية منتصف الليل، ويغلب عليها التوسل للذات الإلهية وبالرسول (ص) والأولياء الصالحين، وتسمى الثانية "أوقروت" تمتد من منتصف الليل حتى الفجر ويتم فيها الحديث عن الذكريات والبطولات، وأطلق على الثالثة "تيترا" تبدأ من الفجر حتى شروق الشمس، ويغلب عليها التفاؤل والاستبشار.

طالما عبّر معمري عن سحر أشعار الاهلل وحنينه إلى الجلسات الفنية مع أهالي القورارة داعيا الدارسين إلى الاهتمام بتلك المدونة الخصبة قائلا: (أنّ المدونة الخاصة بأهازيج وأشعار القورارة لن يستنفذها أي تحليل ولن يعوض تجربة ليلة اهلل ممضية ومحققة بها رفقة القورارين)⁹.

الملاحظ هو قلة الدراسات الخاصة بأشعار وأهازيج الاهلل باستثناء محاولات المستشرق الفرنسي روني باسي (René Basset) خلال القرن 19م لذلك جاءت دراسة مولود معمري ذات أهمية، حيث جمع مدونته في مجموعة من القبائل وهي على التوالي: فاطيس، اجدير، كالي، تميمون، غانات، شروين وكان اعتماده

على مختصين في مجال الإلقاء أمثال (ماهومي باساوود) من تيميمون و(شريف مولاي عبد الرحمن) من شروين.

2.4. في مجال الشعر الأمازيغي:

ينتمي الشعر الأمازيغي إلى الثقافة الشفاهية غير العالمية كما يسميها الأنثروبولوجيون وقد توارث الأمازيغ جيلا بعد جيل حفظ أشعار شعرائهم ، حيث تتداول أشعار محند أومحمد (1840-1905) في جلسات (تاجماعت) وخوفا على ضياع هذا الموروث الشعري سارع كثير من الكتاب والباحثين منذ مطلع القرن الماضي وخاصة بعد انفجار الأزمة البربرية سنة 1949 إلى جمع وتسجيل هذا التراث وترجمته إلى الفرنسية، وهي إستراتيجية مؤسسة بدأها الباحث اللساني والمؤرخ أعرم بوليفة (1863-1931) والذي ألف كتابا ضخما سماه (مختارات أشعار قبائلية) نشره سنة 1904.

كما جمع مولود معمري مجموعة قصائد للشاعر القبائلي "سي محند أومحمد" سنة 1965، وقد كتب الشاعر أكثر من 280 قصيدة حافظ عليها ونشرها معمري في "Les Isefra de Si Mohand" تحت إشراف دار النشر فرانسوا ماسبيرو وكلمة سفرو (Sefru) تعني الإيضاح والتفسير¹⁰. وقصائده التي علق عليها معمري نجد فيها: محنة القرن، محنة الغربة، الحنين، محنة الحب، الجنات المفقودة، الشيخوخة، حجة الوداع، الرحلة الأخيرة¹¹.

وكان قد سبق أن جمعت أشعار سي محند وترجمت في كتاب بعنوان ديوان الشعر القبائلي (Recueil de poésie kabyle) سنة 1904، كما قام الكاتب الجزائري مولود فرعون بانتقاء بعض منها وترجمها سنة 1960.

سنة 1950 كان مولود معمري قد أصدر دراسة حول العلاقة بين المجتمع القبائلي والشعر، ووضع 27 قطعة شعرية مترجمة باللغة الفرنسية¹²، وذكر سي محند الذي اعتبره ممثل الشعر الجديد على عكس الشعر القديم الذي يعد ظاهرة جماعية.

وسنة 1969 ينشر معمري المؤلف الأكثر شمولية حول محند أو محند حيث يبدأ هذا المصنف بدراسة 100 صفحة عن الشاعر وبنية أشعاره ومصادرها ويتبعها بـ 286 قصيدة مع التعليق والترجمة.

سنة 1980 نشر كتابه "الأشعار القبائلية القديمة" أين خصص 50 صفحة لدراسة مكثفة مسبقة بـ 111 قطعة شعرية مترجمة لشعراء معروفين عاشوا في القرنين 18 و19م، كما دعم هذه الدراسة بمجموعة من أشعار لمجهولين¹³. وعلق سنة 1985 وجمع العديد من الأشعار الأمازيغية في الصحراء الجزائرية.

3.4. أجرومية اللغة الأمازيغية:

عمل في النحو الأمازيغي أسماء "تاجرومت نتامزيغت" أي القواعد نشره 1976 عن دار ماسبيرو بباريس، وهو مجموعة قواعد تضبط نحو اللغة وقد تحولت هذه الضوابط إلى سند لدارس الأمازيغية، حيث انطلق مولود معمري من فكرة أن اللغة الأمازيغية هي لغة حية لها مؤهلات تقليدية، كانت دائما تستقبل تطورات مفيدة وضرورية لذلك لم تكن مشغولة باعتبار العربية والفرنسية كلغتين منافستين وقد تطورت باختراع محاورها الخاصة. وضمن هذا السياق كان معمري يرغب في إنجاز معجم أمازيغي كبير حول اللغة الأمازيغية في كل شمال إفريقيا وربما هذه الفكرة أخذها عنه المؤرخ الأمازيغي المغربي "محمد شفيق" وكان مكلفا بوزارة التربية الوطنية.

تأتي فكرة المعجم الأمازيغي استجابة لجملة معطيات ترتبط بالاختلافات بين مختلف اللهجات الأمازيغية بسبب ضعف التبادلات اللغوية بين المجموعات الناطقة بها رغم أنّ بعض الباحثين يدافعون عن أطروحة وحدة اللغة الأمازيغية والتي تطرق إليها العالم الفرنسي اندريه باسي في مؤلفه (اللغة البربرية) الصادر سنة 1929. ومن المشاكل التي يطرحها توحيد الأمازيغية مشكل الأبجدية التي يجب أن تكتب بها فالخيار المطروح يتراوح بين أبجدية التيفيناغ والأبجديتين العربية واللاتينية، وقد قام مولود معمري بتطوير وأقلمة الأبجدية اللاتينية الوطنية .

ومن أعماله الثقافة العالمية والثقافة المعاشة (Culture Savante Culture Vécue) الذي نشر سنة 1991 بعد وفاته وهو مجموع المقالات التي نشرها في الصحف والمجلات وهي عبارة عن دراسات نحوية في البربرية فضلا عن دراسات أدبية وثقافية نشرتها مجلات دولية.

4.4. مجلة أوّل (الكلمة):

تعتبر أول مجلة متخصصة في البحث حول الثقافة الأمازيغية أسسها مولود معمري سنة 1985 بباريس بمعية تسعديت ياسين برعاية مركز الدراسات والبحوث الأمازيغي، وبالتعاون مع الأنثروبولوجي الفرنسي (بيار بورديو) مع العلم أنّ تصورات بورديو تنطلق من أهمية الرأسمال الثقافي في عملية تحديد وإنتاج الواقع الاجتماعي¹⁴، وتعكس المجلة في أعدادها الأربعة الأولى انفتاحا على الثقافة الخارجية من خلال نشر نصوص بالاسبانية والفرنسية، وتركز المجلة على الجوانب الأثرية وثقافات الشعوب الأمازيغية، وتتضمن تحاليل أدبية لنصوص كاتب ياسين. وتجسد هذه المجلة انفتاح معمري على جميع المناطق الناطقة بالأمازيغية كالتيجر ومالي والمغرب وتونس وجزر الكناري.

تأتي مبادرة معمري في إنشاء هذه المجلة ضمن مجموع مبادرات قامت بها شخصيات ثقافية أمازيغية أمثال (عمار نقادي) الذي أصدر سنة 1972 المجلة الثقافية (اساغن) والتي تعني الرّابط بهدف ترقية ونشر الثقافة الأمازيغية لدى مهاجري شمال إفريقيا. وكان مولود معمري يسعى إلى مشروع إنشاء مجلة مغاربية تدعى (آفاق) يشارك فيها جل المهتمين بالتراث الأمازيغي ضمن الفضاء المغاربي.

5.4. تجليات التراث الأمازيغي في كتاباته:

لقد حرص مولود معمري على إظهار قيم مجتمعه الجزائري في كل أعماله الأدبية، كما تجسد الاهتمام بالتراث الأمازيغي واضحا وهو الأمر الذي أشار إليه خلال لقائه مع ميشيل بوفير (Michele Boisvert) عندما كتب: (ثقافتي لغتي هما فعلا الأمازيغية وأنا متعلق بهما تعلقا خاصا لأنني أؤمن بأنهما يصلحان لتعريفي)¹⁵، لقد بدأ معمري الكتابة سنة 1938 وعمره حوالي 21 سنة وكتب حينها مقالا "المجتمع الأمازيغي" كما كتب "القرن 21 يشرف على الانتهاء وقريبا الأمازيغ لن يكون لديهم ما يدافعون عنه".

وفي روايته "الربوة المنسية" -وهي أول رواية أصدرها سنة 1952- حيث انطلق من الواقع الاجتماعي الذي يعيشه الفرد الجزائري في ظل الاستعمار الفرنسي¹⁶، وقد تعرضت هذه الرواية لقسط من النقد والنقاش على أساس أنها رواية اثنوغرافية تهتم بوصف عادات وتقاليد مجموعة أثنية معينة، كما اتهمت صحافة أحزاب الحركة الوطنية آنذاك مولود معمري بانشغاله بمسائل هامشية بعيدة عن قضية الشعب الرئيسية¹⁷.

وانطلاقا من كونه انثربولوجي وقف معمري على مجموعة من الأسماء جسدت شخصيات الرواية: دبدا، عزي،مقران الذين يعيشون في "تاسقة" هي أسماء

أمازيغية رمزية قام بإحيائها و"تعمّست" حارسة التراث، والجدير بالذكر أنّ استخدام اسم العلم الشّخصي في مجال الرّواية هو قناع دلالي ورمزي يدل على عوالم الشّخصية الدّاخلية والخارجية، والواضح أنّ استخدام الكاتب لهذه الأسماء لم يكن اعتباطيا ولكن له دلالات مقصودة معلّلة بوظائفها ومقاصدها حسب السياق النّصي والدّهني، فأسماء الأعلام عند معمري تحمل في طياتها حمولات ثقافية .

وهو الأمر الذي تجلّى عند حديثه عن "عزي" والتي كانت مرفوضة لأنها عاقر ولكن هذا العقم ليس بالمعنى الابتدائي ولكن يرمز إلى اللّغة الأمازيغية لأنها غير مكتوبة فالأولاد رمز الكتابة والكتب وبدونهم تختفي اللّغة دون ترك آثار، وعزي ترمز إلى لغة الأم المحبوبة والجميلة لكنها عاقر يطردها أولياء مقران (الزوج) فتكتب رسالة إلى زوجها المجند في صفوف الجيش الفرنسي، وتخبره بحملها وينتهي الأمر بوفاته مقران ملفوفا في برنوسه الذي يرمز للقيم ويتم دفنه في قرية (ايت شعلال) بالقرب من موح الراعي الذي يرمز للثقافة الشّعبية، وحسب معمري لا بد من تواصل الثقافتين فلقد كان من الواضح أنّ بعث الأسماء الأمازيغية البائدة كان بالنسبة لمولود معمري أحد المعارك الرّمزية التي خاضتها الحركة الثقافية الأمازيغية في الجزائر .

كما انتقدت الرّواية العادات والتقاليد المتشددة في المجتمع القبائلي والحديث عن بعض العلاقات التي تعد كسر لطابوهات المجتمع في تلك الفترة، لذلك اعتبر بعض النّاقدين روايته غير مناسبة للمرحلة التي ظهرت فيها¹⁸ . وقد اعتبرها البعض رواية إثنوغرافية تهتم بوصف العادات والتّقاليد لمجموعة إثنية معينة وأنها أغفلت قضايا وطنية ذات أهمية عرفتها الجزائر بعد الواجهة العسكرية الثانية.

وفي روايته نوم العادل (Le Sommeil juste) والتي كتبها سنة 1955 انتهج المؤلف أسلوبا مختلفا عن رواية (الرّبوة المنسية)، إذ تجاوز حدود القرية القبائلية إلى البعد الوطني، ولكنه أيضا تناول منطقة القبائل والعداوة القبلية، الظلم

والعبيثية التي تتكشف من الحرب¹⁹، وتدور أحداث الرواية في قرية "إيغزر" بمنطقة القبائل، حيث كان اعتماد الروائي كبيرا على ذكر أماكن قبائلية إذ ارتبطت الشخصيات الروائية ارتباطا وثيقا بالأمكنة عندما عكست لنا مظاهر تاريخية وثقافية وحضارية تبعا للتأثير بين الشخصية والمكان²⁰.

كما تدعو الرواية إلى محاربة العزلة الثقافية، حيث يقارب معمري من خلال بطله أرزقي الفارق في التحديث الذي يجعل المجتمع يتحرك من ذاته، ولكنه أيضا يبرز أهمية العودة للأصل والمصدر من خلال قيام أرزقي بحرق الكتب وبيّن تبلور فكرة الحداثة كإيديولوجيا، والرواية رد على منتقديه في "الربوة المنسية" حيث فضحت الرواية جرائم الاستعمار.

ويعود من خلال "الوليمة" إلى قراءة الثقافة الأمازيغية خلال قرون مضت وما طرأ عليها من تغيرات خلال حقبة مختلفة آخرها الاستعمار الفرنسي، والرواية تدعو إلى محاربة العزلة الثقافية، حيث يطرح من خلالها نموذج لأحد الصحفيين الذين ناضلوا من أجل الحرية.

وفي روايته "الأفيون والعصا" التي نشرها 1965 والتي تعنى بحرب الاستقلال بمحاسنها وسلبياتها، وتدور أحداثها في "قرية تالة" بمنطقة القبائل، ويحكي الراوي جهاد سكانها ضد الاستعمار الفرنسي والقمع الهمجي الممارس ضد شيوخها ونسائها، وقد بلغ الأمر تدمير القرية بأكملها²¹، وفي هذه الرواية يقف معمري على تجليات مشاركة منطقة القبائل في العمل الثوري الوطني من خلال تصوير معاناة "الكلي" وهو مجاهد في صفوف جيش التحرير أصيبت ذراعه فاخذ سكينا وقطعها²².

ونلتمس من خلال هذه الرواية الارتباط باللغة الأم (الأمازيغية) عندما وقف محند" وسط شيوخ القرية لتوديعهم مخاطبا إياهم باللغة البربرية على الرغم من عدم فهم بعض الشباب لكلامه كذلك من خلال شخصية بشير عندما صرح قائلا: (وددت

أن أقول لها هذا باللغة البربرية وأشياء أخرى²³، فالحفاظ على اللغة هو جزء من الدفاع عن الهوية.

وسنة 1982 كتب معمري آخر روايته "العبور" والتي تدور أحداثها حول شخصية مراد المثقف من أصل قبائلي يعيش في الجزائر العاصمة، وهو مجاهد سابق في الولاية الثالثة وصحفي في جريدة (Alger révolution) بعنوان (عبور الصحراء)²⁴، والرواية جواب للنداء الذي أطلقته عزي (تركتني) وموت مقران في رواية الربوة المنسية وظهور شخصية "مراد" وهو الشخص المنتظر "ابن عزي" و"مقران" ليشفي جروح قريته وفي رحلته إلى الصحراء الجزائرية يلاحظ مراد صخرة كبيرة مكتوب عليها جملة (التيفيناغ).

في روايته (العبور) أراد معمري أن يظهر أيضا كيف أن بربر الجنوب هم حاملون لعبئ الذاكرة، وحاول التنبيه إلى الأخطار التي تهدد هذا الإرث كما كان للكاتب فرصة الالتقاء بأحد حاملي هذا الإرث الغنائي من خلال شخصية (با سالم). لقد نجح مولود معمري من إدخال في رواياته -الناطقة باللغة الفرنسية- علامات من لغته الأم هذا ما يؤكد أنطوان بارمان: "فهذا النوع من الكتابة ذا طبيعتين فهي من جهة تستدعي كتابات الآخرين التي يريد الكاتب إحياءها في لغته ومن جهة أخرى يقاوم بعنف هذا العداء لإخراج هذا التراث البربري من اللامبالاة وإعطائه بعدا عالميا"²⁵.

5. الخاتمة:

لقد كانت مسألة الهوية جوهرية في أدبيات مولود معمري حيث نجح في تجديد الهوية الأمازيغية في الجزائر خاصة والمغرب العربي عموما من خلال تنقيبه في لغتها وإرثها الحضاري وتعبيراتها الفنية والجمالية. وحرص على حماية التراث من خلال أعماله التي صبغت في اللغة والثقافة والأدب.

لم يتعاط مولود معمري مع التّراث الأمازيغي كتعبير عن خصوصية محلية ولكن كمكون حضاري أساسي في شمال إفريقيا، كما أنّ مساعيه لإحياء وترميم هذا التّراث لا يمكن اعتباره كمطية للانفصال.

عمل مولود معمري على نقل الثقافة الأمازيغية من الشفوية إلى الكتابة عبر تدوينها وتكمن أهمية نشاطه في كونه روائي كتب عن تاريخ منطقة القبائل ولساني وضع قاموس اللّغة الأمازيغية ونحوي فضلا عن كونه انتربولوجي بحث في علم الإنسان والاجتماع والأدب.

والكاتب إن كان قد استعار اللّغة الفرنسية في الكتابة والشكل والتقنية لكنه ظل متمسكا بالمجتمع الذي انبثق منه، والأكد أنّ مولود معمري قد أدى دورا رياديًا في الحفاظ على التّراث غير المادي من خلال أعماله التي ارتبطت باللّغة والثقافة والأدب سواء تلك المتعلقة بالروايات أو دواوينه أو تحليلاته للقوائد القبائلية القديمة أو عمله الانتروبولوجي خاصة حول (هاليل قورارة) و (التوارق).

6. المراجع

- ¹ - محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002، ص19.
- ² - محمد الجوهري، التراث الشعبي في عالم متغير، دراسات في إعادة إنتاج التراث، مطبعة صحوة، ط1، 2008، ص11.
- ³ - سامية عواج، "التراث المادي واللامادي ودور الإعلام في الحفاظ عليه وتنميته"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخي، العدد22، ص45.
- ⁴ - التيفيناغ هي مجموعة من الرموز والرسوم التي ابتدعها الامازيغ الاوائل.
- ⁵ - بشير بلّاح، تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989، ج2، دط، دار المعرفة، 2006، ص410.

⁶ - عبد الكريم بن خالد، اهليل تاملات روحية ومسارات تاريخية ضمن التراث القوراري ديوان الاهليل(نشد قورارة الازلي)، ندوات ومدخلات خطوة للتسجيل والتوثيق محافظة المهرجان الثقافي الوطني لاهليل، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2017، ص40.

⁷ - رشيد بليل، قصور قورارة وأولياؤها الصالحون في المأثور الشفاهي والمناقب والأخبار المحلية، ترجمة عبد الحميد بوراوي منشورات المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، الجزائر، 2008، ص15.

⁸ - عبد الكري بن خالد، المرجع السابق، ص41.

⁹ - Mouloud Mammeri, Entretien avec Tahar Djaout, Edition LAPHOMIC; Collection Itinéraires, Alger; 1987p55.

¹⁰ - يوسف نسيب، مختارات من الشعر القبائلي، تر لخضر سفير، دار الامل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص56.

¹¹ - Mouloud Feraoun, Les Poemes de Si Mohand, Paris, Edition de Minuit 1960.

¹² - Mammeri Moulod, Evolution de la poésie Kabyle, Revue Africaine, n 422-423.

¹³ - قاسي محمد عبد الرحمن، الغربة في الشعر الشعبي القبائلي الحديث (1945-1980)، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في الأدب الشعبي، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2010/ 2011، ص75.

¹⁴ - Pierre Bourdieu et Jean Claude Passeron; la reproduction ;éléments pour une théorie du système d'enseignement, édition de minuit, 1980, p25.

¹⁵ - أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي-نشأته وتطوره وقضاياه-، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص33.

¹⁶ - عقال فاطمة الزهراء، "الرمزية في المجتمع القروي روايات مولود معمري انموذجا"، المدونة، المجلد 09، العدد 02، نوفمبر 2022، ص548.

¹⁷ - مجموعة من الباحثين، موسوعة أعلام الجزائر أثناء الثورة، د ط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، 2007، ص34

¹⁸- نبيل حويلي، "هازيج القورارة جمالية البلاغة وسؤال الهوية قراءة في كتاب (اهليل قورارة لمولود معمري)"، الملتقى الوطني الموسوم بالأدب الامازيغي في الجنوب الجزائري أعلامه وقضاياها الفنية والموضوعية، الجزء الاول، منشورات المجلس، 2018.

¹⁹- Mouloud Mammeri ;L'Opium et le bton ; Paris : Polon ; 1965 ; p339.

²⁰- اوريدة عبود، المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية (دراسة بنوية لنفوس ثائرة)، دار الامل للطباعة والنشر والتوزيع، ط، 1، 2009، ص36.

²¹- احمد منور، الادب الجزائري باللسان الفرنسي نشاته وتطوره وقضاياها، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، 2007، ص111.

²²- Mouloud Mammeri, L'opium et le bâton; paris; Plon ; 1965, p138

²³- احمد منور، المرجع السابق، ص281.

²⁴- Antoine Berman, Cours inédits sur la langue maternelle; Aparaitre aux PUV, 2007.

²⁵- Mouloud Mammeri; la traversée, Alger, El otmania éd, 2005, p31.